

الكشاف

عن ابن عباس " من إن تأمنه بقنطار " هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية ذهباً فأداه إليه . و " من إن تأمنه بدينار " فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديناراً فجده وخانه . وقيل : المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم . والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم " إلا ما دمت عليه قائماً " إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه متوكلاً عليه بالمطالبة والتعنيف أو بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه . وقرئ : يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرهما بغير وصل وبسكونها . وقرأ يحيى بن وثاب : تثمنه بكسر التاء . ودمت بكسر الدال من دام يدام " ذلك " إشارة إلى ترك الأداء الذي دل عليه لم يؤده أي تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم " ليس علينا في الأميين سبيل " أي لا يتطرق علينا عتاب ودم في شأن الأميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم لأنهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون : لم يجعل لهم في كتابنا حرمة . وقيل : بايع اليهود رجلاً من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا : ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم . وعن النبي A أنه قال عند نزولها : " كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤادة إلى البر والفاجر " وعن ابن عباس أنه سأله رجل فقال : إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة . قال : فتقولون ماذا ؟ قال : نقول ليس علينا في ذلك بأس . قال : هذا كما قال أهل الكتاب : ليس علينا في الأميين سبيل . إنهم إذا أدوا الجزية لم يحل لكم أكل أموالهم إلا بطيبة أنفسهم . " ويقولون على الله الكذب " بادعائهم أن ذلك في كتابهم " وهم يعلمون " أنهم كاذبون " بلى " إثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الأميين أي بلى عليهم سبيل فيهم . وقوله : " من أوفى بعهده " جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعده راجع إلى من أوفى على أن كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه . فإن قلت فهذا عام يخيل أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله . قلت : أجل لأنهم إذا وفوا بالعهود وفوا أول شيء بالعهد الأعظم وهو ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه . ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى على كل من وفى بعهد الله واتقاه فإن الله يحبه ويدخل في ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء . فإن قلت : فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى من ؟

قلت : عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير . وعن ابن عباس : نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة أهل الكتاب .

" إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون " " يشترون " يستبدلون " بعهد الله " بما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم " وأيمانهم " وبما حلفوا به من قولهم . والله لنؤمنن به ولننصرنه " ثمنا قليلا " متاع الدنيا من الترتؤس والارتشاء ونحو ذلك . وقيل : نزلت في أبي رافع وليابة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا الرشوة على ذلك . وقيل : جاءت جماعة من اليهود إلى كعب بن الأشرف في سنة أصابتهم ممتارين فقال لهم : هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : نعم قال : لقد هممت أن أميركم وأكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا . فقالوا : لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه . فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا إليه وقالوا : قد غلطنا وليس هو بالنعته الذي نعت لنا ففرح ومارهم . وعن الأشعث بن قيس :